

الظاهرة التعاونية في العلاقات الدولية: نظرة على أبعادها الإقليمية والعبر إقليمية

Cooperative phenomenon in international relations: A look at its regional and trans-regional dimensions

د/ رتيبة برد *

جامعة مولود معمري- تيزي-وزو

ber_ratiba@hotmail.com

تاريخ إرسال المقال: 2021-08-01 تاريخ قبول المقال: 2022-01-04 تاريخ نشر المقال: 2022-03-31

الملخص:

يعتبر التعاون مسألة محورية في حقل العلاقات الدولية، ويقصد بالتعاون الجهود المشتركة بين الدول والمبدولة لأجل تحقيق المصلح المتبادلة، على رأسها تحقيق الأمن والسلم ومواجهة التحديات السياسية والاجتماعية والإقتصادية والأمنية. تهتم الورقة البحثية بدراسة ظاهرة التعاون الدولي وتجسيدياتها المرتبطة بالإقليمية، من منطلق ما تشهده الأدبيات السياسة المعاصرة ومنذ تسعينيات القرن العشرين من مضاعفة الإهتمام بقضايا التعاون، سواء على المستوى الدولي أو الإقليمي. تسعى الورقة التي تعتمد مقارنة وصفية تحليلية، إلى تسليط الضوء على الظاهرة التعاونية وتأصيلها النظري، والتركيز على بعديها الإقليمي والعبر الإقليمي، لأهميتهما في مستجدات النظام الدولي. الكلمات المفتاحية: الظاهرة التعاونية، العلاقات الدولية، البعد الإقليمي، العبر إقليمية.

Abstract:

Cooperation is central to international relations. Cooperation is the common effort of States to achieve mutual reform. The research paper is concerned with the study of the phenomenon of international cooperation and its regional incarnations, in view of the fact that, since the 1990s, contemporary political literature has shown increasing interest in issues of cooperation, both at the international and regional levels. The paper, which adopts an analytical descriptive approach, seeks to highlight the cooperative phenomenon and its theoretical synergy, focusing on its regional dimensions and regional lessons, because of their importance in the developments in the international system.

Keywords: Cooperative phenomenon, international relations, regional dimension, trans-regional

المقدمة:

تعتبر العلاقات بين الدول هي حسب ما يشير إليه "مارسل ميرل"، عبارة عن التدفقات التي تعبر الحدود أو حتى تتطلع نحو عبورها هي تدفقات يمكن وصفها بالعلاقات الدولية، وتشمل هذه التدفقات بالطبع على العلاقات بين والمجموعات العامة أو الخاصة التي تقع على جانبي الحدود كما تشتمل على الأنشطة التقليدية كالدبلوماسية، المفاوضات، أو الحرب، كما تشمل تدفقات ذات طبيعة مستجدة نجد منها علاقات التعاون الاقتصادي، أو الإجتماعية، الثقافية، الرياضية... إلخ. كما أن أبرز ملامح النظام الدولي الجديد إتجاهه نحو التكتل وعلاقات التعاون بين عدد من المجموعات الإقليمية. فالدولة لم تعد مرتكزا أساسيا في رسم تصورات المستقبل، وذلك مهما كان حجمها السياسي، العسكري، الاقتصادي أو السكاني. إذ لا يمكن للدول بصفة مفردة أن تجد لنفسها مكانا في هذا النظام الدولي الجديد إلا من خلال دخوله في إحدى هذه التكتلات الإقليمية، لعل نموذج الاتحاد الأوروبي أبرزها في عصر التكتلات الاقتصادية والمجموعات السياسية الكبرى الذي تحتفظ فيه الدول بشخصيتها القانونية ومكانتها وسيادتها، إلا أنها تدور في فلك أوسع هو الكتلة التي تنتمي إليها.

إعتمدت الورقة البحثية، ولأجل بلوغ أهدافها العلمية، مقارنة وصفية تحليلية، تسعى إلى تقديم قراءة شاملة حول الظاهرة التعاونية التي تصبغ العلاقات بين الأطراف الدولية، من خلال التركيز بصفة أكثر تعمقا على التجسيدات الإقليمية للظاهرة (البعد الإقليمي والعبر إقليمي). صيغت الإشكالية على النحو التالي: ما هي التجسيدات الإقليمية والعبر إقليمية لظاهرة التعاون الدولي وما وخصائصها ؟

أما الفرضيات التي ننطلق ننطلق منها في معالجة موضوعنا، فهي:

- هناك علاقة وطيدة بين الظاهرة التعاونية على المستويين الدولي والإقليمي، ولا يمكن الفصل بينهما.
- كلما زاد إنتشار وتوسعت الإقليمية، كلما إستوجب الأمر التركيز على خصوصيات ومميزات العلاقات بين الأطراف الإقليمية والعبر إقليمية، كما هو الحال مع الظاهرة التعاونية .

المبحث الأول: ماهية الظاهرة التعاونية

يشتمل المبحث بالدراسة ما يرتبط بمفهوم التعاون، ونشأة وتطور الظاهرة التعاونية في العلاقات الدولية مع التطرق لأبعادها ومستوياتها. وهي النقاط التي يتم عرضها ضمنه وفق التقسيم إلى مطالب.

المطلب الأول: مفهوم التعاون

الظاهرة التعاونية في العلاقات الدولية: نظرة على أبعادها الإقليمية والعبر إقليمية

يعرف التعاون اصطلاحاً على أنه مشاركة العمل بين طرفين من أشخاص أو مؤسسات أو بلدان بهدف إنجاز مهمة أو هدف ما،¹ تتعدد تعريفات التعاون بناءً على طرفيه، فعلى الصعيد الفردي هو عبارة عن توزيع الجهد على جميع أفراد المجموعة وتقسيم العمل فيما بينهم ليشكل كل فرد منهم جزءاً هاماً وفاعلاً من المشروع. أما على صعيد المؤسسات والمنظمات، فهو اشتراك في التوجهات والاهتمامات يقوم على أساس استغلال الموارد المشتركة للعمل بـغية تحقيق هدف موحد أو تنمية للمجتمع والمحيط،² كما أنه يُفرض في نهاية الأمر إلى تبادل المنفعة عوضاً عن التنافس وتفاعلاً بين كافة الأطراف.³ لقد فسر علم الاجتماع التعاون على أنه الآلية التي تقوم على عمل مجموعة من الأفراد معاً بدافع الحصول على المنفعة المشتركة فيما بينها، وقد يكون التعاون بين الأصناف نفسها أو بين أصنافٍ مختلفةٍ، من الأمثلة على التعاون: النحلة التي تتعاون مع الزهرة من أجل صنع العسل والقيام على تخصيب زهراتٍ أخرى، فالتعاون عكس التنافس الذي يكون الدافع فيه هو تحقيق المنفعة الشخصية.⁴ ويعد التعاون في علم النفس عبارة عن علاقة شخصية بين طرفين يظهر بينهما التعاون والحساسية لاحتياجات الآخرين، فالتعاون وفق علم النفس هو عمل أو عملية بين شخصين أو أكثر يعملون معاً من أجل الحصول على النتيجة المرجوة من الجميع، ومن الأمثلة على التعاون: الرعاية التعاونية والتعلم التعاوني.⁵

المطلب الثاني: نشأة وتطور الظاهرة التعاونية

تجمع مختلف الدراسات أن مفهوم وسياسة التعاون قد ولدت في ظل ظروف تميزت بتصفية الاستعمار القديم الذي خضعت له معظم الدول المسماة حالياً بالدول النامية. كما أن معطيات الحرب الباردة بين الكتلتين الشرقية والغربية أعادت ترتيب العلاقات الدولية من جديد، مستعملة في ذلك التعاون كأحد الأساليب لتحقيق الأهداف الإستراتيجية لكل معسكر. تسببت هذه الوضعية في حدوث الانحرافات عن القيم السامية للتعاون، كون تصفية الاستعمار أدى إلى فقدان السيطرة السياسية المسلطة من دول المركز على دول المحيط، وإنجر عليه فقدان الإمتيازات والمصالح الاقتصادية والتجارية التي أدت إلى نهب خيرات وثروات المستعمرات القديمة والأمثلة كثيرة في ذلك. فالتعاون وفقاً لهذا المتطور غالباً ما كان يستند ويحدد من أجل الحفاظ على المواقع الإستراتيجية التقليدية أين تكون سيطرة شركات دول المركز وتطبيق نفوذها بأساليب جديدة. من هنا نستنتج أن التعاون الدول في ظل هذه الظروف ما هو إلا تكريس

¹ - "cooperation", Cambridge, 22-3-2019. <https://dictionary.cambridge.org/fr/dictionnaire/anglais/>

² - "What is Cooperation", igi-global, 22-3-2019 . <https://www.igi-global.com/>

³ - "what is cooperation", , 22-3-2019. <https://www.dictionary.com/browse/business>

⁴ - الموسوعة الحرة ويكيبيديا، في: <https://ar.wikipedia.org/wiki/>، الإطلاع: 2020/11/11، الساعة: 10.00

⁵ - "collaboration", APA Dictionary of Psychology, Retrieved 2020-11-11. Edited.

الظاهرة التعاونية في العلاقات الدولية: نظرة على أبعادها الإقليمية والعبر إقليمية

استمرار الاستعمار للدول النامية في ثوب جديد. كما أن الحرب الباردة التي طغى فيها الصراع والتسابق على ضم مراكز النفوذ إقليمي، وما عرفته من مساومات وتحالفات سياسية وعسكرية، كما خلفت كذلك ظهور علاقات إقتصادية جديدة. فساهمت مجمل هذه المعطيات في زيادة حجم العلاقات التعاونية بمختلف أشكالها وأهدافها، كما أن التعاون كان ولا يزال يتحدد وفق خيارات إستراتيجية.¹

بعد الحرب الباردة، وخاصة مع منعرج تسعينيات القرن الماضي والتوجه نحو الإقليمية بالتزامن مع تنامي ظاهرة العولمة، إرتفعت معه نزعة وإهتمام الدول بالتعاون، وتجسد الأمر عبر إنتشار إقامة مشاريع الشراكة والتكامل والإندماج، وإزداد معها عدد الاتفاقيات التعاونية الموقعة بين المجموعات الدولية (مناطق تجارة حرة في الدول الأمريكية، ودول الباسفيك، ودول أمريكا اللاتينية، والإتحاد الأوروبي).

المطلب الثالث: أبعاد ومستويات التعاون

التعاون عبارة عن تبادل المساعدة ولا يهدف المخلق مؤسسات دائمة، إذ أنه ذو طبيعة مؤقتة يتميز بوجود أهداف مجردة وغير مشتركة فالتعاون عبارة عن سياسات وفاق وتبادل ومشاركة في العديد من النشاطات بين دول ذات مستوى إنمائي متفاوت. ويعرف التعاون في العلاقات الدولية على أنه الجهود المبذولة بين دول العالم من أجل تحقيق مصلحة الدول المتعاونة وفي سبيل تحقيق الأمن والسلم الدوليين ومواجهة التحديات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية. كما يمكن للتعاون أن يتم على مستوى الأفراد بين الدول والمجتمعات والأعراق المختلفة إضافة إلى المنظمات الحكومية وغير الحكومية بشكل عام. التعاون الدولي يتم بصفة رسمية عبر الاتفاقيات والمعاهدات، كما يمكن أن يتجسد في المساعدات الإنسانية والتحركات المشتركة. يعد هذا المبدأ من القواعد الأساسية التي تقوم عليها منظمة الأمم المتحدة وتدعو إلى تحقيقها.²

لعل من ابرز وأبسط المستويات المرتبطة بالتعاون سواء على المستوى الإقليمي أو الدولي نجد:

- **التعاون السياسي**، يقصد به مجالات التعاون بين دول مختلفة في مجالات مختلفة مرتبطة بشكل خاص بالمسائل السياسية .
- **التعاون الاقتصادي**، هو أحد أهم أشكال التعاون ويعني التعاون على المستوى الاقتصادي والتجاري والمالي قصد تحقيق التنمية الاقتصادية عبر إجراءات مشتركة ومحددة. ويتضمن التعاون الاقتصادي توقيع الاتفاقيات من أجل رفع مستوى التبادل التجاري بين الدول أو الحصول على القروض والهيئات

¹ مجهول، التعاون الدولي وهيئاته، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية، في: <https://www.politics-dz.com>

² -الموسوعة الحرة وكيببديا، مرجع سابق

الظاهرة التعاونية في العلاقات الدولية: نظرة على أبعادها الإقليمية والعبر إقليمية

والدفعات المالية إضافة إلى تحرير التجارة ورفع الحواجز الجمركية وتحقيق الامن الاقتصادي من خلال مكافحة التهريب والجريمة الاقتصادية.

- **التعاون العسكري**، يعكس أشكال التعاون على مستوى القوات المسلحة للدول وذلك من خلال ابرام اتفاقيات ومعاهدات من أجل تحديث معدات الجيوش وتزويدها بالأسلحة أو توحيد الجهود من أجل تطوير التكنولوجيا العسكرية. إضافة إلى القيام بالمناورات العسكرية والانضمام للأحلاف والإنتاج المشترك للعتاد العسكري.

المبحث الثاني: التأسيس النظري لفهم الظاهرة التعاونية

يتناول هذا المبحث أبرز الأطر النظرية المفسرة للتعاون بين الأطراف الدولية، وقد إرتأينا التركيز على الواقعية، الليبرالية والبنوية، ونحل هذه النقاط بصفة أوفر بتقسيمها على مطالب.

المطلب الأول: التعاون عند الواقعيين

ترى الواقعية الجديدة أن التعاون بين الدول أمر وارد، ولكنه مقيّد بمنطق التنافس الأمني المسيطر الذي لا يجب أن يبطله التعاون،¹ لأن الدول عبارة عن أطراف فاعلة وغير متكافئة في القوة، فدافعها الأساسي للتعاون هو مصلحتها الذاتية.² كما هناك عاملين هاميين يصعبان العملية التعاونية، يتعلق الأمر باحتمال الغش، والاهتمام الذي تبديه الدول بـ"المكاسب النسبية"،³ إذ بدل اهتمام الدول بالتعاون لتحقيق مصالح الطرفين، يتوجب على الدولة أن تكون واعية ومدركة للمكاسب هذا التعاون، ومقارنتها بمكاسب الأطراف الأخرى. قصد تحقيق القدر الأوفر من مكاسب العملية التعاونية. يوضح ذلك حالة عدم الثقة التي ترافق السعي نحو تحقيق مصالح الدول، ما يصعب تحقيق التعاون والحفاظ عليه.⁴ فمحدودية التعاون حسب رأي الواقعية الجديدة يرجع لحالة الفوضى والتخوف المتبادل بين الدول، ما

¹ - John J. Mearsheimer, The False Promise of International Institutions, International Security, Vol. 19, No. 3, (Winter, 1994-1995), pp. 7-9.

² - Goo Lee, Goo Lee, Cooperation under the Security Dilemma: Evolving Inter-Korean Relations in the Early 1990s, The Korean Journal of Defense Analysis, Vol. XVII, No. 3, (Winter 2005), pp.51-52.

³ - جون بيليس، الأمن الدولي في حقبة ما بعد الحرب الباردة، في كتاب: جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسات العالمية، ترجمة: مركز الخليج للأبحاث، (دبي: مركز الخليج للأبحاث، ط1، 2004)، ص419

⁴ - مرجع نفسه، ص 421

الظاهرة التعاونية في العلاقات الدولية: نظرة على أبعادها الإقليمية والعبر إقليمية

يعرقل مسارات التعاون الطويل المدى، ويحكم على تحقيق المكاسب المرجوة بالفشل. ضف لذلك أن حالة عدم التعاون بين الدول، أصعب وذات نتائج سلبية على تحقيق أهداف ومصالح الدول.¹ كما ترى الواقعية الجديده أن هناك إمكانيات لإيجاد مساحات تقاطع وإنسجام لمصالح الدول، ما يشكل جوهر نشأة المؤسسات الدولية والإقليمية، الكفيلة بحماية مصالح الأطراف المنصوية تحت لواءها، فهي تكفل بذلك عدم اللجوء للتلاعب بالمصالح القومية للدول.² يبقى أن بالرغم من وجود احتمالية التعاون عند الواقعية الجديدة، إلا أن التعاون عندهم يشوبه الغموض وبحاجة إلى توضيح أكثر، خاصة ما يتعلق بالظروف التي تؤدي إلى التعاون. من جهتهم الواقعيين الهجوميين، يعتقدون أن الطبيعة المعقدة للبيئة الدولية تضارب مصالح الدول وسعيها الحثيث لتحقيق الأهداف، يضع حدودا حادة على المدى الذي يمكن فيه تقليل الصراع بواسطة سياسات عملية بديلة.³ من ناحية أخرى يعتقد البعض أنه ينبغي تعديل أو استبدال وجهة النظر أنصار الواقعية الجديدة العاديين⁴ نظرا لما عرفته فترة ما بعد الحرب الباردة من تشاؤم بشأن التعاون. دفع ذلك واقعيون جدد آخرون إلى طرح قراءة تفاؤلية بشأن الظاهرة التعاونية. نجد من بينهم شارل قلاسغ "Charles Glaser" الذي يرى أن النزعة العامة القوية للخصوم في التنافس ليست نتيجة منطقية حتمية للافتراضات الأساسية للواقعية البنوية، وعلى الرغم من قبوله بجزء كبير من تحاليل وافتراضات الواقعية البنوية. ويؤكد شارل قلاسغ "Glaser" أن هناك نطاق واسع من الظروف التي يمكن للخصوم أن يحققوا فيها أهدافهم الإستراتيجية عبر تبني سياسات تعاونية، بدلاً من السياسات التنافسية. ففي مثل هذه الظروف ستختار الدول حتما التعاون بدلاً من المنافسة، وتسمى هذه الفئة من الواقعية بأنصار "الواقعية المشروطة". الذين يقدمون طرحاً أكثر تفاؤلية بشأن التعاون بين الدول من "الواقعيين الجدد" التقليديين. بذلك ينتقد أنصار الواقعية المشروطة الواقعية الجديدة، حول كونها ترفض نزعة المنافسة في النظرية، ولا تقبل أن الدافع الوحيد للدول هو المكاسب النسبية، وأن الواقعية الجديدة تبالغ في بناء تصورها على

¹ -Kate O'Neill, Jörg Balsiger, and Stacy D. VanDeveer, Actors, Norms, and Impact: Recent International Cooperation Theory and the Influence of the Agent-Structure Debate, Annu. Rev. Polit. Sci. 2004, , p.15

-Goo Lee, Op. Cit., pp.51-52

² -Steven L. Iamy, Contemporary Mainstream Approaches, Neo-raelism and Neo-liberalism, in: John Baylis and Steve Smith (Editors): The Globalization of World Politics: An introduction to International Relations, (Oxford: Oxford University Press, 2001), P. 187.

³ - Robert Jervis, Realism, Neoliberalism, and Cooperation, International Security, vol. 24, No. 1 (Summer 1999), p. 62

⁴ - جون بيليس، مرجع سابق، 421

الظاهرة التعاونية في العلاقات الدولية: نظرة على أبعادها الإقليمية والعبر إقليمية

الغش، ما يجعل من رؤيتهم عقبات جدية تعتري عملية التعاون، إلا في حالات تحقيق التعاون ذات الفائدة المؤكدة والقصيرة الأجل لتحقيق أهداف الدولة العليا التي يمكن أن تتغير بتغير الظروف.¹

المطلب الثاني: التعاون عند الليبراليين

تري المدرسة الليبرالية المؤسسية الجديدة،² أن هناك إمكانية لتنمية وتطوير أنماط التعاون الدولي فيظل تحقيق الوفرة والمساواة والأمن ومصالح أو منافع متبادلة بين الدول اعتماداً على المبادئ الأخلاقية والشرعية الدولية والمنظمات العالمية، هذا مع إقرار هذه المدرسة بفوضوية النظام الدولي.³ وتنطلق الفرضيات الأساسية لليبرالية الجديدة في أن الأفراد والدول يملكون القدرة على معالجة المشاكل عبر العمل الجماعي، ومن خلال التعاون من أجل تحقيق المقاصد والاستفادة المتبادلة. وتؤكد كذلك على تشكيل الدول لأنظمة ومؤسسات فعالة للحصول على هذه المكاسب المشتركة كوسيلة فعالة لتحقيق للتعاون.⁴ ويعكس ذلك تجاوز الإطار الضيق للسيادة الوطنية، إلى وضع لبنات للتعاون بين الدول، عن طريق دعم المنظمات والمؤسسات الإقليمية والدولية.⁵ ويعتبر الليبراليون الجدد إقرار الشفافية والوضوح في صناعة القرار الخارجي، وتوسيعه إلى فاعلين جدد، سبيل لتغليب الظاهرة التعاونية على الظاهرة الصراعية.⁶ كم أن الدول حسب الليبرالية الجديدة، تهتم بتعزيز موقعها، بالإضافة إلى رغبتها في تحقيق المكاسب، إلا أن هناك عوامل عدة تحول دون تحقيق التعاون بين الدول. فهذه الأخيرة تخاف من تعرضها للخداع، والحصول على عوائد ضئيلة من العملية التعاونية. لذلك نجد الأنظمة الدولية والإقليمية تسمح بتقاسم المعلومات بين الدول المتعانة، ما يدعم تعزيز المصالح القومية عبر الإخراط في التعاون.⁷

¹ - المرجع نفسه، ص ص 421، 423

² - التي ظهرت مع نهاية سبعينات القرن الماضي وبداية ثمانيناته

³ - محمد بوعشة، التكامل والتنازع في العلاقات الدولية الراهنة: دراسة المفاهيم والنظريات، (بيروت: دار الجيل - طرابلس: دار الرواد، ط1، 1999)، ص 17

⁴ - أنور محمد فرج، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية: دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة، ط1، (السليمان: مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، 2007)، ص 404.

⁵ - محمد عصام لعروسي، العلاقات الدولية: شيء من النظرية وآخر من التطبيق، الحوار المتمدن، العدد: 176616/2006 في: <<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=83543>>

⁶ - عبد النبي بورزيكي، هل التعاون الدولي حقيقة أم مجرد "موتوبيا"، المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 28، خريف 2010، ص 111

⁷ - Lorenzo Valeri, orenzo Valeri, Public-private cooperation and information assurance: A institutional approach, Within: Johan Eriksson and Giampiero Giacomello., p. 14. liberal

الظاهرة التعاونية في العلاقات الدولية: نظرة على أبعادها الإقليمية والعبر إقليمية

- نجد أن الليبرالية المؤسسية، تنطلق من مجموعة من الافتراضات، وهي ترتكز عموماً على:¹
- يعد التعاون ممكناً بين الدول حتى في حالة الفوضى وانعدام القانون، كما أن من شأن الأنظمة والمؤسسات لجم وتخفيف تبعات هذه الفوضى فالفوضى تعني غياب السلطة الرادعة التي بإمكانها تعزيز آلية تطبيق أحكام الاتفاقيات الدولية.
 - الدول هي الفواعل الأساسية في العلاقات الدولية، لكنها ليست المهمة والوحيدة. والدولة كيان أناني عقلاني تهتمها المصلحة الخاصة وتعمل على زيادة مكاسبها، وهذه الدول لا تأخذ بالحسبان منفعة الدول الأخرى حيث تهتم بمصالحها الذاتية. ويعتقد الليبراليون الجدد أن هذا الطرح ينطبق على صعيد الاقتصادي فقط، إذ أن ديناميكيات التعاون الآخر صعبة المنال، خاصة في الشؤون الأمنية.
 - إن الخوف من الغش والخداع والإنشاق تعد أبرز عوائق في التعاون بين الدول، لأن الرغبة تمنع التعاون حتى ولو كان فيه مصلحة متبادلة بين الدول. لذا تحاول المؤسسات أو الأنظمة أن تعالج هذا الخوف عن طريق إيجاد نوع من الالتزام القانوني، وخفض نفقات الصفقات بين الدول، وتقديم الشفافية والمعلومات حول مسائل نزاع المؤسسات والتعاون الدولي
- إذا أردنا تسليط الضوء على أبرز معالجات التيار الليبرالي الجديد للظاهرة التعاونية، نجد أن "نظرية الاستقرار المهيمن"، ترى أن التعاون مرتبط ببنية (دولية أو إقليمية) تتسم بالهيمنة، لأن هذه الأخيرة تدفع إلى احترام قواعد تلك المنظومة، فهي التي تؤمن تقاسم المكاسب الجماعية. كما أن المهيمن قادر على تغيير البيئة لصالحه من خلال تقديمه سلعاً أساسية للقوى الصغيرة لكي تقبل الخضوع للنظام المهيمن.² أما نظرية الاعتمادية المتبادلة،³ تناولت إمكانية تنظيم التعاون في الاقتصاد الاقتصاد السياسي، عند وجود مصالح عامة مشتركة؛ فهي تفترض وجود مصالح عامة متبادلة بين

¹ - مارتن غريفيتس، تيري أوكلاهان، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، (الإمارات المتحدة: مركز الخليج للأبحاث، ط1، 2008)، ص396

² - أليس لاندو، السياسة الدولية النظرية والتطبيق، ترجمة: قاسم المقداد، (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب "سلسلة الترجمة -2"، 2008، ص ص39، 40.

³ - طاهر حمدي كنعان وإبراهيم سعد الدين عبد الله، الاعتماد المتبادل والتكامل الاقتصادي والواقع العربي، مقاربات نظرية، أعمال المؤتمر العلمي الأول للجمعية العربية للبحوث الاقتصادية، القاهرة، أيار 1989، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1990)، ص15. وأيضاً: مازن إسماعيل الرمضاني، السياسة الخارجية: دراسة نظرية، (بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 1991)، ص178

الظاهرة التعاونية في العلاقات الدولية: نظرة على أبعادها الإقليمية والعبر إقليمية

الدول وتحاول دراسة الظروف التي من خلالها يمكن أن تؤدي هذه المصالح إلى التعاون.¹ ذلك بالتركيز على الأبعاد التعاونية وعلى زيادة التشابك والتداخل في عملية الاعتماد المتبادل بين دولتين أو أكثر. مما يحقق تعزيز السلام وتقليص الصراع بينهما، عبر تقوية أواصر التفاعلات الثقافية والتنمية الاقتصادية والتقدم التقني.² فالمصالح الاقتصادية تقف كمانع قوي لاستخدام القوة بين الأطراف، بهدف تحقيق الرفاه لكلا الطرفين،³ كما أن ازدياد دور الأفراد والمنظمات غير الحكومية والأسواق المالية أثر على أجندة صناع القرار،⁴ ليفكروا باتجاه التعاون الدولي في مجالات شتى.

ظهور المنظمات حسب الوظيفية كتلبية لرغبة الدول في التعاون، وجوهرها تحقيق مهام الاتصال والتقارب بين الدول والشعوب،⁵ وبناء منظومة سلام من خلال تشجيع أشكال من التعاون الذي يلتف على سيادة الدول. لخص "دافيد ميثراني" D. Mitrany ذلك في عبارته: ((الشكل يتبع الوظيفة))، ويشير إلى أنه لا يمكن قيام التعاون إلا إذا تركّز على بعض النشاطات النوعية التي يمكن أن تتم في سياق أوسع من الدول.⁶ عل أساس ذلك يمكن تلخيص المنهج الوظيفي في تطوير التعاون على الركائز الأساسية الآتية:⁷

- التعاون هو الطريق الأمثل لتحقيق السلم والأمن الدوليين في مختلف المجالات.
- إن التعاون والتكامل الاقتصادي يؤديان إلى الاتفاق السياسي.
- إن التعاون عبر المنظمات الوظيفية المتخصصة يؤدي إلى امتداد وتعاقب التعاون في مجالات أخرى، وفقاً لمبدأ الانتشار التدريجي.

¹ Robert O. Keohane, After Hegemony: Cooperation and Discord in the World Political Economy, (New Jersey: Princeton University Press, 1984), p. 6

² وسن احسان عبد المنعم العزازي، الاتحاد الاقتصادي والنقدي الأوروبي وانعكاساتها على الاقتصاد العربي، (الأبعاد السياسية والاقتصادية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهري، بغداد، 2001، ص 227، 228

³ Stephen M. Walt, International Relations, One World, many Theories, in: Daniel J. Lenses, Kaufman and others, understanding international relations: The value of Alternative 4th. ed. (United State of America: the McGraw-hill companies, 1999)., p. 33.

⁴ Robert Keohane and Joseph. S. Nye, Jr, Power and Interdependence in The Information-Age, Foreign Affairs, Vol. 77, No. 5 (September/October, 1998).

⁵ محمد عصام لعروسي، مرجع سابق.

⁶ أليس لاندو، مرجع سابق، ص 104

⁷ هاني إلياس خضر الحديثي، التعاون والصراع وعملية اتخاذ القرار السياسي الخارجي، حولة العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد 01، أيلول 2001، ص 4

الظاهرة التعاونية في العلاقات الدولية: نظرة على أبعادها الإقليمية والعبر إقليمية

وجاءت الوظيفة الجديدة لصاحبها "إرنست هاس" Ernst Hass باعتراف أن الآلية الوظيفية سهلت التطبيق على مستوى إقليمي، خصوصاً في وجود إطار القيم المشتركة. كما أن إقامة مؤسسات رسمية بإمكانها أن تفرض الاتفاقيات بين الدول وتدعمها أمراً حاسماً، وفعاليتها يجب أن تتمتع ببعض الاستقلالية.¹ كما استكشف "ميتراي" دور المعرفة التوافقية بين النخب في تسهيل التعاون بين الدول، فضلاً عن إقامة مؤسسات رسمية بإمكانها فرض الاتفاقات التي تبرمها الدول وتدعمها، مع تمتعها بشيء من الاستقلالية عن الحكومات الوطنية، ولا يمكن للعملية برمتها أن تنجح إلا إذا قبلت الدول كلا من حكم القانون ومبدأ صنع القرار بالأكثرية.² وتشدد الوظيفة الجديدة بدور النقابات والمجتمع المدني ومجموعات المصالح للدفع بمسار التعاون نحو الأمام نتيجة للمنفعة التي تجنيها مما يجعلها تقف في وجه أية محاولة من السلطة السياسية داخل الدول لوقف مسار التكامل.³

بناء على ما سبق، نجد أن التيار الليبرالي لديه تقاؤل بشأن التعاون بين الأطراف الدولية، وتضع آليات مهمة لتسهيله، وتوضح العقبات الكفيلة بعرقلة العملية التعاونية، مما يدفعها إلى تكييف أكثر لفرضياتها ونظرياتها مع الواقع، كونها قد تساهم في تغيير هذا الواقع الدولي، باتجاه ازدياد عمليات التعاون. ويبقى الاتصال السبيل الأمثل لتقارب وجهات نظر الوحدات الدولية. ورغم حالة التخوف من الغش والشكوك التي تسود علاقات الدول فيما بينها، يبقى أن الكثير من الدول تمكنت من تجاوز فكرة الغش والشكوك وتشعر بقدر من الأمان، ما مكنها تحقيق أقصى قدر من المكاسب الخاصة بها. فتبادل المنافع الناشئة عن التعاون ممكن، لأن الدول ليست مشغولة دائماً بالمكاسب النسبية.⁴

المطلب الثالث: التعاون عند البنيويين

تشكل البنائية قوة رئيسية عندما يتعلق الأمر بتحليل العلاقات الدولية، وهي تحدد العلاقات بين الدول بالأفكار المشتركة بدلاً من المصالح المادية. نجد أن النظريات البنائية القائمة على المعرفة، تذهب إلى

¹ - مارتن غريفثس و تيري أوكالاها، مرجع سابق، ص 459

² - Martin Griffiths, Fifty Key Thinkers in International Relations, (London and New York: Routledge, 2001), p. 1.

³ - عبد القادر محمد فهمي، النظام السياسي الدولي: دراسة في الأصول النظرية والخصائص المعاصرة، (عمان: دار وائل للنشر، ط1، 1997، ص ص 92-95)

⁴ - Scott Burchill, Liberalism, within: Scott Burchill and others, Theories of International Relations, Theories of International Relations, 3rd. ed., (New York: Palgrave Acmillan, 2005), P.65.

الظاهرة التعاونية في العلاقات الدولية: نظرة على أبعادها الإقليمية والعبر إقليمية

كون المعرفة والمؤسسات تتضافران لخلق تفاهم مشترك للأدوار والهويات التي تشكل السلوك أو تعيق أو تعزز التعاون.¹ بمعنى أن المصلحة والهوية تتفاعل عبر عمليات اجتماعية- تريخية، والخطابات السائدة في الدول تعكس معتقداتها ومصالحها. كما تهتم البنائية بمصدر التغير أو التحول،² إذ تؤكد على دور البيئة الثقافية في التأثير على الحوافز وطبيعة وهوية الدولة نفسها،³ وفي كيفية تعاملها مع محيطها وعلاقاتها الخارجية، بما في ذلك التعاون.

نجد أن البنائية تعطي أهمية كبرى للثقافات والسياسات المحلية في تفسيرها للعلاقات بين الدول، وتتطلب من أن هوية الدولة هي وليدة ممارسة إجتماعية محلية، وأن سياسة الهوية المحلية لها أثر مباشر على مصالح الدولة وأفعالها الخارجية، وفهم هذه القيم والمثل المحلية يساهم في فهم مصالح الفاعلين وخياراتهم السياسية. وفهم الأفكار والقيم تساعد في اتخاذ القرار، كما تساهم في وضع معيار أخلاقي للحكم على السياسة الخارجية للدول.⁴ من ناحية أخرى البنائية تؤكد على أن حالة الفوضى في البيئة الدولية، ما هي "إلا ما تصنعه الدول منها"، فلا علاقة للتعاون الدولي بغياب السلطة المركزية، فالأمر مرتبط بنوعية الثقافة السائدة في المنظومة.⁵ أما مسألة الغموض فهي معطى متغير وغير ثابت، بذلك تساهم الهويات في ضبط المعاني، وتقليل هذا الغموض، بإزالة الشكوك المتبادلة بين الأطراف، ما يعد كفيلاً لإرساء أسس التعاون.⁶ بذلك تطرح البنائية نفسها كنظام للأمن التعاوني، لأن تحقيق الأمن عندها هو مسؤولية مشتركة، مثلها مثل التشارك في الأهداف والمصالح، وحتى المخاطر. البنائية تؤمن إمكانية تحقيق التعاون حتى تحت ظروف الفوضى، وترتبط ذلك بكيفية توزيع الهويات والمصالح للدول المعنية، ما يساعد في توضيح ما إذا كان التعاون بينها ممكناً؛ أي أن التسليم بوجود مصالح مسبقة يعتبر عقبة في طريق بناء نظرية للتعاون وفقاً للمدرسة البنائية.⁷

¹ Hasenclever Andreas and Peter Mayer and Volker Rittberger, Theories of International Regimes, Cambridge University Press, 1997.

² رنا علي خلف، البنىوية في العلاقات الدولية، أوراق دولية، مركز الدراسات الدولية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بغداد، العدد (186)، شباط 2010، ص 13

³ حسن الحاج علي أحمد، العالم المصنوع: دراسة في البناء الاجتماعي للسياة العالمية، في: <http://hawariboumadian1520.maktoobblog.com/1153358//>>

⁴ حسن الحاج علي أحمد، المرجع نفسه

⁵ power Alexander Wendt, Anarchy Is what states Make of It? The social construction of politics, International Organization, Vol. 46, Issue 2, (Spring, 1992).

⁶ حسن الحاج علي أحمد، المرجع السابق.

⁷ عبد الله جبر العتيبي، التعاون الدولي في نظرية العلاقات الدولية: دراسة مقارنة للأنساق التنظيرية، مجلة دراسات مستقبلية، جامعة أسيوط، العدد 11، جانفي 2006، ص 165

الظاهرة التعاونية في العلاقات الدولية: نظرة على أبعادها الإقليمية والعبر إقليمية

ينعكس التأثير الثقافي والمؤسسي على مكونات بيئة الدول، بذلك تساهم القيم والمثل في تشكيل مصالح الأمن الدول وسياساتها. فالمصالح الثابتة، تؤدي إلى تغيير المعتقدات خدمة لسياسة محددة، وإلا تتغير المصالح نفسها. فالدول تتفاعل مع معايير المنظمات (دولية أو إقليمية) أو غيرها من الدول، مما يسهل عملية التقارب وبالتالي التعاون معها. وتعمل هويات الفاعلين ومصالحهم على تنظيم السلوك، والقيم كقاعدة معنوية تساعد في تكوين وتحديد القاعدة المادية، ما يجعل الوكلاء (الدول) والهيكل (المثل) تتفاعل معا.¹ تلعب بذلك الأفكار دورا هاما في توجهات الدول، لأن المعتقدات والمصالح هي التي تنتج السلوكيات، مما يوضح أهمية ترافق ثنائية المصلحة والهوية. ما يجعل من منطلقات البنائية مساهمة إيجابية لتقريب الثقافات من بعضها دعما للحوار والتقارب وتحقيق السلام، عبر مسارات التعاون.² كما أن تحليل الهويات وأثر الثقافة والفهم الجماعي المشترك في مصالح الدول لا علاقة له بالتمتية، والتجانس الإقتصادي، يعني ذلك إمكانية للتعاون بين الدول دون أي شرط أو عائق،³ إنطلاقا من كون الدول تعد متفقة ضمنا ومعترفة بقواعد النظام الدولي السائد الذي تتخبط فيه.⁴

المبحث الثالث: البعد الإقليمي للظاهرة التعاونية

يشتمل المبحث على تعريف التعاون الإقليمي، أهميته وخصائصه، بالإضافة إلى صوره، وهي النقاط التي يتم عرضها ضمنه وفق التقسيم إلى مطالب.

المطلب الأول: تعريف التعاون الإقليمي

يعتبر التعاون من بين الأنماط الرئيسية الثلاثة لتفاعل العلاقات بين الدول من خلال سياستها الخارجية، فالنمط التعاوني يقوم أساسا على إقامة تكتل تعاوني مع دول أخرى لحماية المصالح المشتركة بين الأطراف.⁵ أما التعاون الإقليمي يعتبر أحد المفاهيم الرئيسية ضمن أدبيات العلوم السياسية وتحديدًا علم العلاقات الدولية، كما أنه أحد المجالات الرئيسية في الدراسات الإقتصادية، وعلى ذلك تعدد صور

¹ - حسن الحاج علي أحمد، المرجع السابق.

² - نسرين الحمداني، مفاتيح السلام العالمي، في: <http://www.alrai.com/pages.php?articles_id=25489>

³ - حسن الحاج علي أحمد، المرجع السابق

⁴ - عبدالله جبر العتيبي، المرجع السابق، ص 146

⁵ - أما النمطين المتبقين فهما النمط التنافسي الذي يعتبر مزيج من علاقات التعاون والصراع، وكذلك النمط الصراع الذي يعكس حالة عدم توافق الأهداف والمصالح بين الدول، ويحدث عدم التوافق نتيجة تبني دولة من الأهداف بما قد ينطوي على تهديد حقيقي لمصلحة الدولة الأخرى.

الظاهرة التعاونية في العلاقات الدولية: نظرة على أبعادها الإقليمية والعبر إقليمية

- وجوانب التعاون الممكنة بين الكيانات السياسية الدولية وفي مقدمتها الدول. كما يبدو مفهوم التعاون الإقليمي مفهوما مركبا يتكون من كلمتين أساسيتين:
- تشير الأولى إلى مجموعة من المعاملات والاتصالات الكثيفة بين طرفين أو عدة أطراف (أشخاص، دول، أجهزة، مؤسسات...) بهدف العمل المشترك على نحو يؤدي إلى تحقيق أفضليات مشتركة ويعظم درجة الأمن لدى عدة أطراف، لا يشترط بالضرورة أن يكونوا متقاربين مكانيا أو جغرافيا.¹
 - أما الكلمة الثانية فإنها تقوم بتخصيص النطاق المكاني للتعاون بين أطرافه حيث يتعلق الأمر في هذه الحالة بتعاون إقليمي يتصل بتفاعلات تحدث بين عدة دول تنتمي إلى حيز جغرافي محدد، ويطلق البعض على هذا النوع من التفاعلات مصطلح الإقليمية Regionalism التي تعني في أحد تعريفاتها جهود دفع التعاون الإقتصادي والأمني بين ثلاث دول أو أكثر في منطقة جغرافية معينة تبعا لأسس محددة، تتعدد وفقا لها الإقترابات الإقليمية للتعاون الإقتصادي والأمني ويمكن التمييز بين نوعين من الإقليمية هما: الإقليمية المفتوحة « Open Regionalism » ويقصد بها تلك الجهود التي تستهدف التعاون في مجالات التجارة والإستثمار، والإقليمية الرخوة « Regionalism Soft » والتي تعني الإجراءات المشتركة في إطار التعاون الأمني بين الوحدات الداخلة في مثل هذا النوع من التعاون.²

المطلب الثاني: أهمية وخصوصية التعاون الإقليمي

يفترض التعاون بين الدول وجود فعل مشترك بين جملة شركاء مستقلين، لابد من التمييز بين مفهومي التعاون والاندماج، التعاون يسعى لتوحيد الشركاء من خلال خضوعهم لغايات مشتركة مع إحتفاظ كل طرف بأهدافه ومصالحه الخاصة، في ضل تناغم مع مصالح الآخرين، بينما يفترض الاندماج وجود حالة تقارب يغير في الشراكة والشركاء أنفسهم، بقيام شكل جديد وواحد مندمج، يمكن التخلي فيه عن سيادة الدولة، لكن في التعاون فهناك إرتباط عام للدول بسيادتها. بذلك يعد التعاون الحد الأدنى للعلاقات بين الدول هذا الحد الأدنى يؤكد أيضا دور القوة، قوة الدولة.³ كما أصبحت التجمعات الإقليمية والجهوية باتت

¹ - شامي ذبيان وآخرون، قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، (لندن: رياض الريس للكتب والنشر، 1990)، ص.136

² - Byung, A. Joon. Regionalism in the Asia Pacific: Asian or Pacific Community?. - p.p.5-6 Korean Foucs, vol.4, n°4, 1996.

³ - تمسكها بوحدها الداخلية لأن هذا المعنى للتماسك يظهر حدود الدولة على الصعيد الدولي، أما على الصعيد الداخلي للدولة نفسها، القوة يجب أن توجد بشكل كاف حتى تسيطر الدولة على نفسها، فالعديد من المفاهيم مثل سيادة الدولة، مبدأ الشرعية، تنظيم واستقلال السلطات، دولة القانون هي تظهر بشكل مختلف من دولة إلى أخرى ولكنها لا بد أن تكون موجودة بشكل متناظر مع الدول التي تريد تحقيق التعاون فيما بينها

الظاهرة التعاونية في العلاقات الدولية: نظرة على أبعادها الإقليمية والعبر إقليمية

تشكل إحدى المظاهر الرئيسية في العلاقات الدولية ونظرا لإتساع رقعة المصالح المشتركة وازدياد تداخل وترابط من هذا المنطلق برز مفهوم التعاون الإقليمي كأداة من شأنها محاولة مواجهة التهديدات عن طريق الرؤية المشتركة.

لقد أضحت التعاون ظاهرة بارزة ومهمة على المستوى الإقليمي، كما أصبح الحديث عن ضرورة هذا التعاون طاغيا على كثير من خطابات صناع القرار ونظرا لعدة ظروف ومتغيرات، إذ أصبح التحكم أو التعامل مع المستجدات الإقليمية والدولية بشكل أحادي أمرا صعبا إن لم تقل أمرا مستحيلا، لذا أصبح التعاون سواء كان دولي أو إقليمي أساسيا بالنسبة للدول. هذا التحول الذي شهده ومازال يشهده العالم لم يكن ليكون لولا التطور الحاصل على مستوى التجمعات وتشابك وتداخل تفاعلاتها الوطنية والدولية وزيادة متطلباتها والتي لم يعد للدولة الوطنية القدرة الكافية على تلبيتها.¹

المطلب الثالث: صور التعاون الإقليمي

لنتطرق إلى صور التعاون الإقليمي، علينا الإنطلاق من مفهوم الإنتشار والإقليمية الجديدة، إذ تعد من المفاهيم وثيقة الصلة بفكرة التعاون الإقليمي وذلك إنطلاقا من حقيقة أن بعض أنماط التعاون تتجه إلى تجاوز شرط الجوار الجغرافي فيما يتصل بالتعاون فتتمدد بنطاق الإقليم والمكان إلى محل ومناطق التعاون (سياسي، اقتصادي، ثقافي) بالمصطلح القانوني والفقه، وبالتالي تتاح فرص التعاون الإقليمي بالمعنى سالف البيان إلى وحدات وكيانات أكثر إتساعاً من المعنى الجغرافي الضيق للإقليم.²

أما على الصعيد الإقتصادي يمكن القول بتعدد وتنوع الصور والأشكال التي إتخذتها وتتخذها ظاهرة التعاون الإقتصادي بالمعنى الشامل Economic Integration بين الدول المختلفة، والذي يعرف اصطلاحا بالتكامل الإقتصادي، والصور الشائعة لهذا النمط من التعاون هي: منطقة التجارة الحرة، والإتحاد الجمركي، والسوق المشتركة والإتحاد الإقتصادي والإندماج لإقتصادي الكامل. ومناطق التمييز بين كل درجة وأخرى هو ما تحققه كل منها من قضاء على الحواجز والقيود التي تعترض إنتقال السلع والخدمات وعناصر الإنتاج المختلفة بين أطراف التنظيم، والدرجة التي يحققها كل منها في تخفيف التمييز أو القضاء عليه فيما بين الأقطار الأطراف، وأيضا فيما بينها وبين الأقطار الأخرى غير الداخلة في

¹ - Marches Sin, Philip, les nouvelle menace, les relations nord- sud des années 1980 à Nos jours, paris, ED kaft ala, 2001, p123

² - سعيد، عبد المنعم، الإقليمية في الشرق الأوسط نحو مفهوم جديد، السياسية الدولية، القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، عدد 122، أكتوبر 1995، ص.61.

الظاهرة التعاونية في العلاقات الدولية: نظرة على أبعادها الإقليمية والعبر إقليمية

عملية التكامل.¹ ويرى الكثير من الإقتصاديين الغربيين أن هذه الصور (منطقة التجارة، الإتحاد الجمركي، السوق المشتركة والإتحاد الإقتصادي والإندماج الإقتصادي الكامل) إنما تمثل درجات أو مراحل متتالية من التكامل، بمعنى أن كل منها تعبر عن درجة أو مرحلة من التكامل أعلى من التي قبلها.² أما فيما يخص صعيد التنظيم الدولي نجد أن ميثاق الأمم المتحدة الصادر في 1945 قد أقر مبدأ قيام المنظمات الإقليمية، ولم ير فيه تعارضاً مع نظام الأمن الجماعي الذي أتت به المنظمة الدولية. فنصت المادة 1/25 على أنه: "ليس في هذا الميثاق ما يحول دون قيام تنظيمات أو وكالات إقليمية تعالج من الأمور المتعلقة بحفظ السلم والأمن الدولي ما يكون العمل الإقليمي صالحاً فيها ومناسباً، ما دامت هذه التنظيمات أو الوكالات الإقليمية ونشاطها متلائمة مع مقاصد الأمم المتحدة، ومبادئها"، كما خصص الفصل الثامن من الميثاق لشرح دور هذه المنظمات في حفظ السلم والأمن الدوليين، وعلاقتها بالمنظمة العالمية.³

يتبين مما تقدم مدى تنوع وتشعب موضوع التعاون الإقليمي وأبعاده المختلفة، فإذا ما تجاوزنا الإقترايات والمداخل المختلفة للنظر في التعاون الإقليمي ودراسته وحاولنا التعرف على العناصر اللازم توافرها لقيام مثل هذا التعاون، فإننا نجأبه مرة ثانية بتباين في الآراء فيما يتصل بهذه العناصر ودورها، ولما كان ذلك ليس هو الهدف الأساسي للبحث فإننا سنعرض لصورتين من الصور الدالة على هذا التباين. وهما التحدي الخارجي، والعلاقة بين السياسي والإقتصادي فيما يتصل بالتعاون الإقليمي.

يرى البعض على صعيد التحديات الخارجية أن وجود التحديات والتهديدات الخارجية يعد عاملاً كافياً لدفع الدول نحو التكتل والتضامن والوحدة، إلا أن وجود التحدي الخارجي ليس شرطاً أن يؤدي إلى الوحدة أو التكتل أو التضامن الإقليمي بل أن وجود التهديدات بصفة عامة قد يدفع إلى الانقسام بين دول الإقليم الواحد.⁴

فيما يتصل بالعلاقة بين المدخل السياسي والمدخل الإقتصادي نجد جدلاً مماثلاً بين من يدعو إلى إتباع المدخل الإقتصادي - الوظيفي - لتحقيق الإندماج و التكامل وبين من يدعو إلى المدخل السياسي لتحقيق ذات الهدف. على أنه تجدر الإشارة إلى أن التيار الغالب يذهب الى ضرورة توافر قدر من

¹ - شقير محمد لبيب، الوحدة الاقتصادية العربية تجاربها وتوقعاتها، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الجزء الأول، 1986)، ص.50

² - المرجع نفسه، ص 52

³ - شهاب مفيد، المنظمات الإقليمية الدولية، (القاهرة: دار النهضة العربية، 1978)، ص.ص.408-411.

⁴ - شقير محمد لبيب، مرجع سابق، ص.72

الظاهرة التعاونية في العلاقات الدولية: نظرة على أبعادها الإقليمية والعبر إقليمية

المصلحة المشتركة بين الدول الساعية لإقامة تنظيم إقليمي سواء تمثلت هذه المصلحة في درء مخاطر أو جلب منافع للأطراف. كما أن النظريات المختلفة للاندماج والتكامل المعروفة بأنها لا سياسية مثل الوظيفية، والوظيفية الجديدة، والاتصالية، لم تستبعد مجال العامل السياسي من تحليلاتها.¹ كما أن النظريات السياسية مثل الفيدرالية لم تهمل الأبعاد الاقتصادية في تناولها. وفي الواقع أن عملية التعاون الإقليمي تثير العديد من القضايا التي تتصل بطبيعة النشأة، وأطراف التنظيم والعلاقة بينهم، والهيكل التنظيمي.²

المبحث الرابع: البعد العبر إقليمي للظاهرة التعاونية

يشتمل المبحث على تعريف التعاون العبر إقليمي، وما يرتبط بأهميته ومبرراته، وهو ما نوضحه وفق هذه المطالب.

المطلب الأول: تعريف التعاون العبر إقليمي

لا يوجد مفهوم محدد للتعاون العبر إقليمي، وهو يعتبر مفهوما غريبا، لفعل محدوديته في الأدبيات العربية، ظهر في بداية السبعينيات، يعبر عن ((حوار ما بين مجموعتين أو أكثر من خلال عقد اجتماعات دورية،³ تهدف في جوهرها إلى بحث ومناقشة مشاريع التعاون المشترك بين الأطراف))، ميادين التشاور والتعاون تشمل أبعادا مختلفة منها السياسية وأمنية (كمحاربة الإرهاب والجريمة المنظمة) أو اقتصادية (كالمسائل التجارية والاستثمارية) أو مسائل أخرى (اجتماعية، ثقافية، علمية، بيئية...). تعتبر العبر إقليمية⁴ بذلك آلية جديدة وفعالة في مساعدة الدول الأعضاء في نظام إقليمي معين لزيادة نسبة وحدود الفهم المشترك من خلال تجاوز التناقضات وحل الخلافات عن طريق التفاوض أو المحتمل

¹ - مقلد اسماعيل صبري، نظريات السياسة الدولية، دراسة تحليلية مقارنة، (الكويت: منشورات ذات السلاسل، 1987)، ص.ص. 380، 381.

-Schmitter, Philippe. A revised theory of regional integration international organization. vol.24, n°4, 1970.- p.859.

² - حاد عماد، اتجاهات التكامل الإقليمي في آسيا، بحث مقدم إلى مؤتمر أثر التحولات العالمية على آسيا، القاهرة، مركز الدراسات الآسيوية، كلية الاقتصاد، جامعة القاهرة، 17-18 ديسمبر، ص.ص. 2-3.

³ - تجمع بين مستوى الوزراء والسفراء ومجموعات الخبراء وكبار المسؤولين.

⁴ - لا يجب الخلط بين الإقليمية الجديدة والعبر إقليمية، رغم أن أسباب ظهورهما هي ذاتها، وتعود إلى تطور وسائل الإتصال والتفتح على الآخر وحضارته، وظهور المنظمات والشركات المتعددة الجنسيات وتأثيرها المعلوم على الأنظمة، ودور وتأثير المواثيق والمعاهدات الموقعة سواء داخل الإقليم أو مع خارجه في كافة القارات.

الظاهرة التعاونية في العلاقات الدولية: نظرة على أبعادها الإقليمية والعبر إقليمية

نشئها بين الأطراف.¹ تساهم في تقريب الرؤى الأطراف الرسمية وغير الرسمية من خلال آليات غير حكومية (الاجتماعات الصحفية، اللقاءات العلمية المراكز البحثية والفكرية...).
تقتصر اتجاهات أخرى توجهات العبر إقليمية على التعاون الأمني² فتعرفه على أنه ((شكل من أشكال التعاون الأمني الذي يتم بين الدول كوسيلة لحماية المبادئ السياسية، والحفاظ على كيان كل دولة على حدى)).³ يبقى التعريف لأشمل للتعاون العبر إقليمي هو أنه يعبر عن ((مرحلة متطورة من العلاقات بين طرفين _أو أكثر_ يؤدي فيه تشابك المصالح المشتركة إلى إنشاء إطار جديد للتعاون، يكون مجاله متسعا ومتعدد الأبعاد والميادين، يتناول القضايا السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية، بينما تمتد أطراف التعاون العبر إقليمي إلى منطقتين إقليميتين _أو أكثر_

المطلب الثاني: أهمية ومبررات التعاون العبر إقليمي

تتضاعف أهمية التعاون العبر إقليمي والتي نجدها عموما تقتزن بالوظائف التي يؤديها، أبرزها:⁴
- وظيفة التوازن، أصبحت المؤسسات والمنظمات الدولية مجالاً للتسابق على القوة الدولية، نجد الاتحاد الأوروبي مثلاً يلعب دور الموازنة بين بعد إقليمي وبعد عبر إقليمي من خلال تكثيفه لعملية التعاون مع أطراف خارجية كما الحال بالنسبة لتعاونيه مع الميركوسور (Mercosur)، كما جاءت وفقاً لرؤية الاتحاد الأوروبي نشأة "الأسيم" ASEM⁵ لسد التهميش تجاه أطراف دولية لم تبلغها سياساتها وإهتمامها.
- وظيفة المؤسسية، جاء مفهوم "المؤسسية المرنة" ليصف طبيعة المؤسسية داخل المجموعات والمنظمات عبر الإقليمية، كون أعضاء المنظمة عبر الإقليمية هم أعضاء في عدة منظمات إقليمية أخرى وهو ما يطلق عليه "التعددية الإقليمية"، تحرث الدول على هذه المؤسسية من أجل تقليل إلزامها مقابل زيادة المنفعة من المنظمات الإقليمية.

¹ - نيللي كمال الأمير، التعاون العبر إقليمي في النظام الدولي: أين تقع مصر من هذا التعاون، قضايا، القاهرة: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية، السنة الثانية، العدد 22، (2006)، ص 9

² - التعاون العبر إقليمي والأمني الذي يجمع الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاءها بعد أحداث 11 سبتمبر 2001،

³ - مثال التعاون العبر الأطلنطي، والتعاون الأمني عبر المحيط الهادي، والتعاون الآسيوي أوروبي التعاون الأمني العبر

متوسطي.

⁴ - نيللي كمال الأمير، المرجع السابق، ص 12-15

⁵ - ASEM أحد تطبيقات مفهوم التعاون العبر إقليمي

الظاهرة التعاونية في العلاقات الدولية: نظرة على أبعادها الإقليمية والعبر إقليمية

- وظيفة تحسين مستوى الأداء، إذ أن التعاون الإقليمي أو العبر إقليمي يساعد في تدعيم وتحسين مستوى أداء العلاقات الدولية ككل.
- وظيفة تنظيم جدول الأعمال، إذ تهدف الدول العضوة في المنظمات العبر إقليمية إلى وضع جدول أعمال لتحقيق أهداف الأعضاء من هذه المنظمات، على سبيل المثال هدف الاتحاد الأوروبي من خلال التعاون العبر إقليمي مع الدول الآسيوية إلى تنمية الإستثمارات المتعددة الأطراف.
- وظيفة إيجاد هوية مشتركة، إن التعاون العبر إقليمي جدير بإيجاد هوية مشتركة بين الدول الأعضاء، من خلال التجميع بين الهويات المختلفة دون إلغائها.
- من ناحية أخرى، لعل من أبرز العوامل المفسرة للعبر إقليمية، وأهميتها كبعد داعم للحيز الإقليمي، من خلال الارتباطات الخارجية مع المحيطات القريبة والبعيدة، نجد من بينها التالية:
- العامل الأول المتعلق بتراجع الأهمية النسبية للجغرافيا كمحدد بناء الترتيب الإقليمي أو العبر إقليمي، واللجوء إلى مفاهيم تعبر عن مرونة أكبر وفق معيار المصالح الحيوية المشتركة، بغض النظر عن المعيار الجغرافي أو التجاور، مما ساهم رغم كافة الاختلافات الممكنة (سياسية، إجتماعية، ثقافية)، من بناء أرضية ملائمة للنمو والتنمية الإقتصادية وتحرير تجارتها الخارجية، بشكل جعل من التنافسية الدولية مصدرا رئيسيا للشرعية سياسية في هذه البلدان،
- العامل الثاني يرتبط بتراجع نسبي في أهمية البعد الجيوسياسي على حساب البعد الجيو-إقتصادي، المتصاعد منذ نهاية الحرب الباردة،¹ لتتحكم بذلك الترتيبات الإقتصادية على السياسية من دون أن تتناقضا لان كلاهما يخدمان المصالح الحيوية المشتركة، الأمر الذي وفر قدرا من الحرية والحركة للدول النامية في إطار التعاون الإقليمي والعبر إقليمي.
- نصل بذلك إلى أن الترتيبات الإقليمية والعبر إقليمية باتت تلعب دورا هاما في تجذير وتوسيع ظاهرة التشابك والترابط الشديد الذي تعرفه العلاقات الدولية الراهنة من جراء التكامل الإعتماد المتبادل بين الأقاليم المختلفة وعلى مستويات شتى (سياسية أمنية، إقتصادية تجارية)،² ويلاحظ تداخل كبير وشديد بين مختلف الأطر من حيث العضوية بشكل يجعل بعض الترتيبات أو التجمعات الجهوية أو الإقليمية هي في الآن ذاته جزء من ترتيبات أكبر.

¹ - محمد فايز فرحات، عولمة الأقاليم: الترتيبات عبر الإقليمية من الأمن إلى الإقتصاد، السياسة الدولية، القاهرة: مؤسسة الأهرام، المجلد 47، العدد 178، (جانفي 2012)، ص ص 86، 87.

² - ظاهرة الإعتماد المتبادل ليست من مستجدات المعاصرة في العلاقات الدولية، تعود إلى منتصف القرن العشرين، إذ أشارت إليها نظريات التكامل الإقليمي، لكن المستجد هو الكثافة التي تعرفها نسبة وحجم التعاملات والتفاعلات الدولية.

الخاتمة:

إن ما يعرفه العالم في إطار تيار العولمة الموحد للقيم والمخترق لحدود الدول وسيادتها، وكافة المخاطرة التي تهدد الدول منفردة، ساهم في تشجيع وإزدياء الرغبة في التعاون، بدليل إزدياد وتيرة الإقليمية وترسخها في التكتلات والتجمعات التي أصبحت لاعبا لا يستهان به في تحديد معالم النظام العالمي الجديد. فالظاهرة الإقليمية أضحت تترافق مع الظاهرة التعاونية لأجل تحقيق أكبر هامش من حرية الحركة والمبادرة المرتكزتان على العمل الجماعي، لتحقيق الأهداف والمكاسب وحل المشاكل التي تستعصى على الدول بصفقتها الانفرادية.

ساهمت هذه المعطيات في بلورة ونشر التعاون (ثنائي أو متعدد الأطراف)، مما حقق نقله نوعية في تعاملات الدول والمجموعات الإقليمية. التعاون الذي كان سابقا مقتصر على تقديم المساعدات، تحول في صيغته المستجدة يستدعي ضرورة خلق تعاون إقليمي ومبادرات لامركزية لأجل التنسيق والتخطيط المشترك لمواجهة التحديات الراهنة (السياسية، الاقتصادية، التجارية الأمنية والعسكرية...). فمهما كان الدولة قوية ومتقدمة لا يمكنها أن تجابه هذه التحديات الجديدة التي يعرفها النظام الدولي ونظمه الفرعية، بصفة منفردة، فما بلك بالدول النامية أو الصغيرة والضعيفة.

لعل من المكاسب التعاون تشجيع الدول تعزيز قدراتها المبدعة على التوصل إلى حلول لمشاكلها وتحقيق احتياجات المشتركة؛ وصياغة الاستراتيجيات اللازمة لتسيير علاقاتها الاقتصادية الدولية، عبر تجميع معارفها وقدراتها بغية إقامة النظام الاقتصادي الدولي الجديد؛ صف إليها زيادة كثافة الاتصالات والتنسيق لتحقيق الإستراتيجيات ولرفع مستوى تحقيق المكاسب والأهداف. كما أن زيادة التعاون مهما كانت مستوياته (إقليمي، عبر إقليمي أو دولي) يساهم إيجابا وبفعالية في إرساء معالم السلم والأمن.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب

- أليس لاندو، السياسة الدولية النظرية والتطبيق، ترجمة: قاسم المقداد (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب "سلسلة الترجمة -2"، 2008
- أنور محمد فرج، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية: دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة، ط1، (السليمانية: مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، 2007)
- جون بيليس، الأمن الدولي في حقبة ما بعد الحرب الباردة، في كتاب: جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسات العالمية، ترجمة ونشر: مركز الخليج للأبحاث، ط1، (دبي: مركز الخليج للأبحاث، 2004)

الظاهرة التعاونية في العلاقات الدولية: نظرة على أبعادها الإقليمية والعبر إقليمية

- شامي ذبيان وآخرون، قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، (لندن: رياض الرئيس للكتب والنشر، 1990)
- شقير محمد لبيب، الوحدة الاقتصادية العربية تجاربها و توقعاتها، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الجزء الأول، 1986)
- شهاب مفيد، المنظمات الإقليمية الدولية، (القاهرة: دار النهضة العربية، 1978)
- محمد بوعشة، التكامل والتنازع في العلاقات الدولية الراهنة: دراسة المفاهيم والنظريات، (بيروت: دار الجيل - طرابلس: دار الرواد، ط1، 1999)
- مارتين غريفيتس، تيري أوكالاها، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، (الإمارات المتحدة: مركز الخليج للأبحاث، ط1، 2008)
- مازن إسماعيل الرمضاني، السياسة الخارجية: دراسة نظرية، (بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 1991)
- عبد القادر محمد فهمي، النظام السياسي الدولي: دراسة في الأصول النظرية والخصائص المعاصرة، (عمان: دار وائل للنشر، ط1، 1997)
- مقلد اسماعيل صبري، نظريات السياسة الدولية، دراسة تحليلية مقارنة، (الكويت: منشورات ذات السلاسل، 1987)
- collaboration", APA Dictionary of Psychology, Retrieved 2020-11-11. Edited.
- Hasenclever Andreas and Peter Mayer and Volker Rittberger, Theories of International Regimes, Cambridge University Press, 1997.
- Kate O'Neill, Jörg Balsiger, and Stacy D. VanDeveer, Actors, Norms, and Impact: Recent International Cooperation Theory and the Influence of the Agent-Structure Debate, Annu. Rev. Polit. Sci. 2004
- Lorenzo Valeri, orenzo Valeri, Public-private cooperation and information assurance: A liberal institutionalist approach, Within: Johan Eriksson and Giampiero Giacomello.
- Marches Sin, Philip, les nouvelle menace, les relations nord- sud des années 1980 à Nos jours, paris, ED kaft ala, 2001
- Martin Griffiths, Fifty Key Thinkers in International Relations, (London and New York: Routledge, 2001)
- Robert O. Keohane, After Hegemony: Cooperation and Discord in the World Political Economy, (New Jersey: Princeton University Press, 1984)
- Scott Burchill, Liberalism, within: Scott Burchill and others, Theories of International Relations, Theories of International Relations, 3rd. ed., (New York: Palgrave Acmillan, 2005)

الظاهرة التعاونية في العلاقات الدولية: نظرة على أبعادها الإقليمية والعبر إقليمية

- Stephen M. Walt, International Relations, One World, many Theories, in: Daniel J. Kaufman and others, understanding international relations: The value of Alternative Lenses, 4th. ed. (United State of America: the McGraw-hill companies, 1999)
- Steven L. Iamy, Contemporary Mainstream Approaches, Neo-raelism and Neo-liberalism, in: John Baylis and Steve Smith (Editors): The Globalization of World Politics: An introduction to International Relations, (Oxford: Oxford University Press, 2001)

الرسائل والمذكرات

- وسن احسان عبد المنعم العزازي، الاتحاد الاقتصادي والنقدي الأوروبي وانعكاساتها على الاقتصاد العربي (الأبعاد السياسية والاقتصادية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، بغداد، 2001

المقالات

- رنا علي خلف، البنيوية في العلاقات الدولية، أوراق دولية، مركز الدراسات الدولية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بغداد، العدد (186)، شباط 2010 ، ص 13
- سعيد، عبد المنعم، الإقليمية في الشرق الأوسط نحو مفهوم جديد، السياسة الدولية، القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، عدد 122، أكتوبر 1995
- عبد الله جبر العتيبي، التعاون الدولي في نظرية العلاقات الدولية: دراسة مقارنة للأنساق التنظيرية، مجلة دراسات مستقبلية، جامعة أسيوط، العدد 11 ، جانفي 2006
- عبد النبي بورزيكي، هل التعاون الدولي حقيقة أم مجرد "يوتوبيا"، المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 28، خريف 2010
- محمد فايز فرحات، عولمة الأقاليم: الترتيبات عبر الإقليمية من الأمن إلى الإقتصاد، السياسة الدولية، القاهرة: مؤسسة الأهرام، المجلد 47، العدد 178، (جانفي 2012)
- نيللي كمال الأمير، التعاون العبر إقليمي في النظام الدولي: أين تقع مصر من هذا التعاون، قضايا، القاهرة: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية، السنة الثانية ، العدد 22، (2006)
- هاني إلياس خضر الحديثي، التعاون والصراع وعملية اتخاذ القرار السياسي الخارجي، حولية العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ، العدد 01، أيلول 2001
- Alexander Wendt, Anarchy Is what states Make of It? The social construction of power politics, International Organization, Vol. 46, Issue 2, (Spring, 1992).
- Byung, A. Joon. Regionalism in the Asia Pacific: Asian or Pacific Community?. Korean Foucs, vol.4, n°4, 1996.
- Goo Lee, Goo Lee, Cooperation under the Security Dilemma: Evolving Inter-Korean Relations in the Early 1990s, The Korean Journal of Defense Analysis, Vol. XVII, No. 3, (Winter 2005)

الظاهرة التعاونية في العلاقات الدولية: نظرة على أبعادها الإقليمية والعبر إقليمية

- John J. Mearsheimer, The False Promise of International Institutions, International Security, Vol. 19, No. 3, (Winter, 1994-1995)
- Robert Jervis, Realism, Neoliberalism, and Cooperation, International Security, vol. 24, No. 1 (Summer 1999)
- Robert Keohane and Joseph. S. Nye, Jr, Power and Interdependence in The Information Age, Foreign Affairs, Vol. 77, No. 5 (September/October, 1998).
- Schmitter, Philippe. A revised theory of regional integration international organization. vol.24, n°4, 1970

أشغال الملتقيات

- حاد عماد، اتجاهات التكامل الإقليمي في آسيا، بحث مقدم إلى مؤتمر أثر التحولات العالمية على آسيا، القاهرة، مركز الدراسات الآسيوية، كلية الاقتصاد، جامعة القاهرة، 17-18 ديسمبر، د. س
- طاهر حمدي كنعان وإبراهيم سعد الدين عبدالله، الاعتماد المتبادل والتكامل الاقتصادي والواقع العربي، مقاربات نظرية، أعمال المؤتمر العلمي الأول للجمعية العربية للبحوث الاقتصادية، القاهرة، أيار 1989، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1990

المواقع الإلكترونية

- حسن الحاج علي أحمد، العالم المصنوع: دراسة في البناء الاجتماعي للسياسة العالمية، في: <http://hawariboumadian1520.maktoobblog.com/1153358//>>
- محمد عصام لعروسي، العلاقات الدولية: شيء من النظرية وآخر من التطبيق، الحوار المتمدن، العدد: 6616، 2006/12/17، في: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=83543>
- مجهول، التعاون الدولي وهيئاته، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية، في: <https://www.politics-dz.com>
- الموسوعة الحرة ويكيبيديا، في: <https://ar.wikipedia.org/wiki>، الإطلاع: 2020/11/11، الساعة: 10.00

- نسرین الحمداني، مفاتيح السلام العالمي، في:

http://www.alrai.com/pages.php?articles_id=25489

- "cooperation", Cambridge, 22-3-2019. <https://dictionary.cambridge.org/fr/dictionnaire/anglais/>
- "what is cooperation", business dictionary, 22-3-2019. <https://www.dictionary.com/browse/business>
- "What is Cooperation", igi-global, 22-3-2019 . <https://www.igi-global.com/>